ابو الهذيل العلاف

— ٣ —

٦ — فلسفة أبي الهذيل

إن أبا الهذيل فيلسوف معتزلي ، وافق أهل الاعتزال في فلسفتهم العامة ، وانفرد عنهم في مسائل خاصة .

أما فلسفة الاعتزال العامة التي وضع مبادئها واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وعثمان الطويل وغيرهم من أهل الاعتزال ، فتنحصر في أصول خمسة هي : القول بالتوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، ووجوب المعرفة بالعقل قبل ورود السمع ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالقول بالتوحيد انما وضع للرد على الرافضة والمجسمة . وفيه ان الله واحد لا شريك له من أي جهة ، ولا كثرة في ذاته . وهو قديم عالم لذاته ، قادر لذاته حي لذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به . وهو خالق الجسم وليس بجسم ، محدث الأشياء وليس كالأشياء ، منزه عن المخلوق ، لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة .

والقول بالعدل وضع للرد على المجبرة من الجهمية والرافضة . وفيه ان الله تعالى حكيم عادل لا يجوز ان يضاف اليه شر وظلم ، ولا يجوز ان يريد من عباده خلاف ما يأمرهم به . وهو لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يريد ظلماً للعالمين . وأفعال العباد من خير وشر وايمان وكفر وطاعة ومعصية منسوبة اليهم ، يفعلونها بقدرة خلقها الله فيهم . ويستحيل ان يقول الله لعبده افعل ، وهو لا يستطيع أن يفعل ، بل العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة .

والقول بالوعد والوعيد انما ذهبوا اليه لاعتقادهم ان الله تعالى صادق في وعده ووعيده ، لا مبدل لكلماته ، فلا يغفر عن كبيرة إلا بعد التوبة فاذا خرج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار . فصاحب الكبيرة ليس بمؤمن مطلق ، ولا بكافر مطلق ، لكنه في منزلة بين المنزلتين ، لأنه فاسق . والفسق حال متوسطة بين الكفر والايمان[1] .

وأما وجوب المعرفة بالعقل فيرجع الى ان الانسان يستطيع بعقله قبل ورود السمع ان يعرف الحسن ويعتنقه ، ويدرك القبيح ويجتنبه . وما ورود التكاليف إلا ألطاف للباري تعالى أرسلها الى العباد بتوسط الأنبياء امتحاناً واختباراً ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيي من حيي عن بينة .

واما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتضمن تكليف المؤمنين الجهاد ، واقامة حكم الله على كل من خالف أمره او نهيه سواء أكان كافراً أم فاسقاً .

لقد ذهب ابو الهذيل العلاف كغيره من المعتزلة الى هذه الأصول الخمسة ، وانفرد عن أصحابه بآراء خاصة في حقيقة الأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والحركة ، والسكون ، والصفات الإلهية ، والقدر ، والنفس الانسانية ، وحركات أهل الجنة والنار ، ونعيمهم ، وعذابهم ، والطاعة ، والاستطاعة ، والخلق ، والآجال ، وشروط الحجة عن طريق الأخبار وغيرها .

ان نظرة بسيطة الى هذه المسائل تدلنا على ان الاحاطة بها تحتاج الى عدة مقالات . فلنقتصر اذن في مقالنا هذا على بحث المسائل الرئيسية فقط .

من المسائل الرئيسية التي بحثها ابو الهذيل مسألة الصفات الإلهية . فقد كان بعض المتكلمين ممن تقدم ابا الهذيل يقولون ان الله عالم وعلمه قديم . وكان

---

(١) راجع كتاب الانتصار للخياط ص — ١٢٦ . قال الخياط : « وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

أما نحن فقد جمعنا القول بالوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين في أصل واحد . واعتبرنا القول بوجوب المعرفة بالعقل قبل ورود السمع أصلاً خامساً لما للعقل في نظر المعتزلة من أثر عميق في التمييز بين الخير والشر والعقاب والثواب . راجع أيضاً كتاب الملل والنحل للشهرستاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعضهم الآخر يقول ان الله عالم لذاته لا بعلم . فكان قول الفريق الأول يؤدي الى القول بتعدد القديم ، وكان قول الفريق الثاني يؤدي الى نفي العلم ونفي غيره من الصفات عن الذات الالهية . فذهب ابو الهذيل في هذه المسألة الى رأي متوسط بين الرأيين السالفين فقال : ان الله تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته . اي ان علم الله تعالى هو هو ، وكذلك سمعه وبصره وحكمته . فهو يرى اذن ان الصفة هي عين الذات . والفرق بين قولنا ان الله عالم لذاته لا بعلم ، وبين قولنا عالم بعلم هو ذاته ، اننا في القول الأول ننفي عن الله صفة العلم ، وفي الثاني نثبت ذاتاً هي بعينها صفة ، أو نثبت صفة هي بعينها ذات . وكان أبو الهذيل اذا قيل له حدثنا عن علم الله الذي تقول انه ذاته . أتزعم أنه قدرته أيضاً ، أبى ذلك . فاذا قيل له ، فهو غير قدرته ! أنكر ذلك أيضاً . ويظهر ان ابا الهذيل لم يذهب الى هذا القول الا لرغبته في الابتعاد عما وقعت فيه الرافضة من التجسيم ، وما أدى اليه قول بعض المتكلمين من تعدد القديم . فقد كانت المجسمة تعتقد ان ربها ذو هيئة وصورة ، يتحرك ويسكن ، ويزول وينتقل ، وانه كان غير عالم ، ثم علم ، وانه يريد الشيء ثم يبدو له سبب آخر فيريد غيره . وذكر أبو الهذيل في بعض كتبه ان هشام ابن الحكم قال له : ان ربه جسم ذاهب جاء . فيتحرك تارة ويسكن أخرى ، ويقعد مرة ويقوم أخرى . وانه طويل عريض . لأن ما لم يكن كذلك في زعمه دخل في حد التلاشي . قال فقلت له فأيما أعظم إلهك أم هذا الجبل وأومأت الى أبي قبيس فقال هذا الجبل أعظم منه . وذكر ابن الروندي أيضاً ان هشام ابن الحكم كان يقول ان بين الهه وبين الاجسام المشاهدة تشابهاً من جهة من الجهات لو لا ذلك ما دلت عليه . فهذه الملاحظات وغيرها ساقت ابا الهذيل الى القول بالتجريد ، فنفى عن الله تعالى شبه خلقه من كل وجه ، وأثبته واحداً ليس بجسم ولا بذي هيئة ولا صورة ولا حد ، وانه ليس كمثله شيء . وأبو الهذيل يسمي العلم والقدرة والحياة وجوهاً ثلاثة للذات الالهية . وهذه الوجوه الثلاثة التي اقتبسها ابو الهذيل من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة شبيهة بأقانيم المسيحية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال أبو الهذيل : ولقولي هذا نظائر عند أهل التوحيد . انهم بأجمعهم يقولون ان وجه الله هو الله . وقد فسد ان يكون لله وجه هو بعضه أو وجه قديم هو معه . فلم يبق الا ان يكون وجهه هو ذاته كما يقال هذا وجه الأمر ، وهذا وجه الرأي . وهذا الأمر نفسه ، وهذا الرأي نفسه . على ان ابا الهذيل قد نفى العلم من حيث اوهم أنه أثبته ، لأنه لم يثبت في النهاية إلا الذات الالهية ، وكان اذا قيل له : فلم اختلفت الصفات فقيل عالم ، وقيل قادر ، وقيل حي ، قال لاختلاف المعلوم والمقدور . ويرى ابو الهذيل ان السمع والبصر صفات ازلية ، فالله تعالى لم يزل سميعاً بصيراً بمعنى انه سيسمع وسيبصر : وكذلك لم يزل غفوراً رحيماً محسناً ، خالقاً رازقاً ، مثيباً معاقباً ، موالياً معادياً ، آمراً ناهياً ، بمعنى ان ذلك سيكون منه . وكان سهلاً عليه ان يؤول هذه الصفات تأويلاً ينفي عنها الصفة الحسية ، لأنه كان يعتبر السمع والبصر من اعمال الروح ، لا من اعمال الحواس .

وقد ساقته نظرية الصفات هذه الى القول بارادات لا محل لها ، يكون الله تعالى مريداً بها . فارادة الله لكون الشيء هي غير الشيء المكوّن . وارادته للايمان هي غير الايمان والأمر به . ففرق على هذه الصورة بين الارادة والشيء المراد ، كما فرق بين الارادة الخالقة والارادة الشارعة . فارادة الخلق هي الخلق بذاته ، وهي تختلف عن المخلوق لأنها ليست في مكان . ثم انه ذهب في تقسيم كلام الباري تعالى الى ما ذهب اليه في تقسيم الارادة . فقال هو قسمان احدهما يحتاج الى مكان ، والآخر لا يحتاج الى مكان . فكلمة الخلق . وهي قول الله للشيء « كُنْ » هي عين الخلق . وهي ليست في مكان ، وليس بجائز أن يخلق الله شيئاً ولا يقول له كُنْ . فكأن كلمة التكوين ، كما قال بعض الفلاسفة ، في المكان الاوسط بين الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق . او كأنها جوهر شبيه بالمثل الأفلاطونية . أو عقول الأفلاك التي أشار اليها الفارابي وابن سينا في صدور الأشياء عن المدبر الأول . أما سائر كلام الله من أمر ونهي وخبر واستخبار ، فهو في مكان ، لأن أمر التكليف غير أمر التكوين . فكلمة الخلق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ليست بمخلوقة ، أما الكلام المشتمل على الأوامر والنواهي والوحي فهو مخلوق ، لأنه عرض من الأعراض . وهذا يدل على ان أمر التكليف مقصور على العالم الفاني . لا يخضع الانسان لأحكامه إلا في هذه الحياة . وهو يقتضي القول باختيار الانسان ، وحريته ، وبقدرته في هذا العالم على فعل ما يختاره من الخير والشر . اما في العالم الثاني ، فيفقد الانسان حريته واختياره ، ويرجع كل شيء فيه الى إرادة الله . لذلك قال الشهرستاني : ان ابا الهذيل قدري الدنيا جبري الآخرة . وفي الجنة والنار تكون حركات الانسان ضرورية لا قدرة له عليها . فهي مقيدة وليس لأحد قدرة على اكتساب فعل ، ولا على اكتساب قول . والله خالق فيها اقوال العباد وحركاتهم . فالدنيا دار عمل وأمر ونهي ومحنة واختبار . والآخرة دار جزاء واضطرار . ولو كان أهل الجنة يجوز منهم اختيار الأفعال ووقوعها ، لكانوا مأمورين منهيين ، ولو وقعت منهم الطاعة والمعصية . ولكانت الجنة دار محنة وأمر ونهي ، لا دار ثواب ، وكان سبيلها سبيل الدنيا ، ولوقع ثواب أهلها في دار سواها ، ولتسلسل الأمر الى ما لا نهاية له .

ويرى ابو الهذيل ان حركات أهل الجنة والنار لا تبقى ، بل تنتهي بانتهاء العالم ، وتنقلب الى سكون دائم . لأن ما له ابتداء لا بد من أن يكون له انتهاء . وفي هذا السكون الدائم تجتمع اللذات كلها لأهل الجنة ، ويجتمع العذاب كله لأهل النار . وهذا قريب من مذهب جهم بن صفوان اذ حكم بفناء الجنة والنار . قال الأشعري في مقالات الاسلاميين : « أجمع أهل الاسلام جميعاً الا الجهم ان نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له ، وكذلك عذاب الكفار في النار . وقال جهم بن صفوان ان الجنة والنار تفنيان وتبيدان ، ويفنى من فيهما ، حتى لا يبقى الا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه »[1] .

وقال البغدادي في كتاب « الفرق بين الفرق » : ومذهب ابي الهذيل في ذلك شر من مذهب جهم ، لأن جهماً ، وان قال بفناء الجنة والنار ، فقد قال : ان الله قادر بعد فنائهما أن يخلق غيرهما . وأبو الهذيل زعم ان ربه لا يقدر بعد انتهاء الحركات على تحريك ساكن ، او احياء ميت ، أو احداث شيء .

(١) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص ٤٧٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وظاهر ان رأي ابي الهذيل ، في سكون حركات أهل الجنة والنار ، لا يستند الى أي أساس ديني ، بل يرجع الى رأيه في تناهي الحركات . فالحركة عنده تنقسم في الجسم على جميع أجزائه ، وما يجوز على الأجسام يجوز أيضاً على الجوهر الواحد ، والجزء الذي لا يتجزأ . ولكن ما هو الجسم . قال ابو الهذيل :

« الجسم هو ما له يمين وشمال وظهر وبطن وأعلى وأسفل . وأقل ما يكون الجسم ستة أجزاء احدهما يمين والآخر شمال ، وأحدهما ظهر والآخر بطن ، وأحدهما أعلى والآخر أسفل ، وان الجزء الواحد الذي لا يتجزأ يماس ستة أمثاله . وانه يتحرك ويسكن ، ويجامع غيره ، ويجوز عليه الكون والمماسة ، ولا يحتمل اللون والطعم والرائحة ، ولا شيئاً من الاعراض غير ما ذكرنا ، حتى تجتمع هذه الستة الأجزاء ، فاذا اجتمعت فهي الجسم ، وحينئذ يحتمل ما وصفنا » (١)

فالجسم إذن منقسم وهو يحمل الاعراض كاللون والطعم والرائحة والحركة . وليس كل جوهر جسماً ، بل الجوهر الواحد الذي لا ينقسم محال ان يكون جسماً ، لأن الجسم هو الطويل العريض العميق . وليس الجوهر الواحد كذلك (٢)

« واختلف الناس في الجسم هل يجوز ان يتفرق أو يبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ أم لا يجوز ذلك ... فقال ابو الهذيل : ان الجسم يجوز ان يفرقه الله سبحانه ، ويبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ ، وان الجزء الذي لا يتجزأ لا طول له ولا عرض له ولا عمق له ، ولا اجتماع فيه ولا افتراق ، وأنه قد يجوز ان يجامع غيره وان يفارق غيره ، وان الخردلة يجوز ان تتجزأ نصفين ثم اربعة ثم ثمانية الى ان يصير كل جزء فيها لا يتجزأ » (٣)

فالله يستطيع اذن ان يبطل ما في الجسم من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ . ويستطيع ان يفرد الجزء الذي لا يتجزأ فتراه العيون ويخلق فينا رؤية له وإدراكاً له .

والاعراض هي الحركات والسكون والقيام والقعود والاجتماع والافتراق والطول

(١) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص ٣٠٢ (٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والعرض والألوان والطعوم والأراييح والأصوات والكلام والسكوت والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة . فبعضها يجوز على الجسم والجزء الذي لايتجزأ معاً ، وبعضها لايجوز إلا على الجسم ، فالحركة مثلاً تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ ، أما اللون والطعم والرائحة فلا تجوز إلا على الجسم . قال ابو الهذيل : والاعراض قسمان «منها ما يبقى ومنها ما لا يبقى . والحركات كلها لا تبقى . والسكون منه ما يبقى ومنه ما لا يبقى . وسكون أهل الجنة سكون باق ، وكذلك أكوانهم ، وحركاتهم منقطعة منقضية لها آخر»[1] .

وقال أيضاً : ان الألوان والطعوم والأراييح والحياة والقدرة تبقى كلها ، وكذلك اللذات والآلام . فآلام أهل النار باقية فيهم ، ولذات أهل الجنة باقية فيهم .

فالحركات اذن في نظر ابي الهذيل تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ وهي مع ذلك لا تبقى ، اما الألوان والطعوم والأراييح فلا تجوز الا على الجسم وهي مع ذلك تبقى بعد انتهاء العالم . فهناك اذن أعراض موجودة لا في جسم ، ويجوز أيضاً ان تعاد . أما الحركات والسكون وما يتولد عنها كالتأليف والتفريق والأصوات وسائر ما يعرف الناس كيفيته فلا يجوز ان يعاد .

فالسبب إذن في قول ابي الهذيل بانتهاء حركات أهل الجنة والنار يرجع إذن الى رأيه في حقيقة الأجسام والحركات وبقاء الاعراض وانتهائها . قال اني لا أقول بحركات لا تتناهى آخراً ، كما لا أقول بحركات لا تتناهى أولاً ، ونسي أن ما لزمه في الحركة يلزمه أيضاً في السكون . اضف الى ذلك ان قوله بانقسام الاعراض الى قسمين أحدهما يبقى والآخر لا يبقى لا يستند الى أي أساس معقول .

فأبو الهذيل قد قال اذن ببقاء الاعراض التي لا تجوز الا على الجسم ، وبعدم بقاء الحركات رغم جوازها على الجسم وعلى الجزء الذي لا يتجزأ معاً .

(١) الاشعري : مقالات الاسلاميين ، ص ٣٥٩ . قال أبو الهذيل : « يجوز أن يتحرك الجسم لا عن شيء ولا الى شيء » . المصدر نفسه ٣٢٣ . وقال أيضاً : « الأجسام قد تتحرك في الحقيقة ، وتسكن في الحقيقة ، والحركة والسكون هما غير الكون ، والجسم في حال خلق الله سبحانه له لا ساكن ولا متحرك » المصدر نفسه ٣٢٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولو قال بفناء الدنيا والآخرة ، كما قال الجهم ، لما وقع في هذه الشبهة ، ولاستغنى عن هذا السكون الدائم الذي قلب أهل الجنة والنار الى أصنام جامدة في مدينة مسحورة .

ومع ذلك فان لرأي ابي الهذيل في انتهاء حركات أهل الجنة والنار خطورة عظيمة ، لأنه كان كما قال الشهرستاني قدري الدنيا جبري الآخرة . فالانسان في نظره قادر على خلق أفعاله في هذه الدنيا لأنه حر . أما في الآخرة فانه يصير مقيداً بالحالة التي انتهى اليها . والمشهور عن الفلاسفة الأقدمين أن النفس تشارك الجسد في أفعاله وانفعالاته ما دامت مقيدة به ، وان حريتها مقيدة في هذا العالم بما يصل اليها عن طريق الجسد من الاحساسات والأفكار والعواطف ، اما اذا فارقت الجسم فانها تعود الى العالم الأرفع ، وتمزق سلاسل المادة وقيود الزمان والمكان وتصير حرة طليقة . أما ابو الهذيل فقد ذهب في ذلك مذهباً مخالفاً لآراء المتقدمين ، وزعم ان النفس حرة في الدنيا مقيدة في الآخرة . وفي هذا الرأي فكرة عميقة تدل على قوة ابداعه ، وشدة حدسه . الا انها تحتاج رغم ذلك الى مقدمات برهانية لم نعثر عليها فيما وصل الينا من أفكاره .

ويرى أبو الهذيل ان في الانسان علماً فطرياً يؤدي بالضرورة الى معرفة الله ، فمن واجبه ان يعرف الحق ، وان يميز الخير من الشر بعقله الطبيعي ، من غير خاطر ولا وحي . وان قصر في هذه المعرفة استوجب العقوبة . وعليه أيضاً ان يفهم حسن الحسن وقبح القبيح ، وان يقدم على الحسن كالصدق والعدل ، وان يعرض عن القبيح كالكذب والجور . والله يثيب كل محسن على قدر طاعته وصدقه وعدله . ويعاقب كل مسيء على قدر معصيته وكذبه وجوره . فهناك اذن طاعات من الخلق لا يراد الله بها ، وليس على وجه الأرض دهري زعم انه لا رب ولا خالق ، ولا ثواب ولا عقاب ، الا وهو مطيع بضرب من الطاعات . فهو عاص بدهريته ، ولكنه مطيع بما يقدم عليه من الخير ، كما ان المؤمن مطيع بايمانه ، عاص بما قد يقدم عليه من الشر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومسؤولية الانسان تتوقف على معرفة اللحظة التي يوجد فيها الفعل . ولا تكون المسؤولية تامة الا اذا كان الفعل تام الحدوث . لذلك فرق ابو الهذيل بين افعال القلوب وأفعال الجوارح ، اي بين الأفعال النفسية والأفعال الطبيعية . فقال ان حال (يفعل) هي غير حال (فعل) . والمسؤولية لا توجد في أفعال القلوب الا اذا وجدت الاستطاعة مع الفعل . أما في أفعال الجوارح فقد تتقدم الاستطاعة على الفعل ، فاذا لم يتم الفعل الا بعد موت الفاعل او عجزه كان الفعل منسوباً اليه لا إلى غيره ، ويمكن ان يقال مجازاً ان الموتى يقتلون الأحياء . فالارادة لا توجد اذن تامة الا اذا كانت الجوارح قادرة على تنفيذها ، ولا يكون العمل اختيارياً الا اذا قام الانسان به من غير قسر . قال ابو الهذيل : « الاستطاعة يحتاج اليها قبل الفعل . فاذا وجد الفعل لم يكن بالانسان اليها حاجة بوجه من الوجوه . وقد يجوز وقوع العجز في الوقت الثاني فيكون مجامعاً للفعل ، ويكون عجزاً عن فعل ، لأن العجز لا يكون عجزاً عن موجود . فيكون الفعل واقعاً بقدرة معدومة »[1] .

وهذا يدل على أن أبا الهذيل قد جوز الفعل مع الموت بالاستطاعة المتقدمة . كما جوز أقل قليل الكلام مع الخرس ، ولم يجوز وجود العلم مع الموت ، ولا وجود الارادة مع الموت . وقد حكي عنه انه كان ينكر أن توجد الارادة بقدرة معدومة حتى يكون العجز مجامعاً لها .[2] والانسان انما يفعل في غيره الأفعال بالأسباب التي يحدثها في نفسه . فلو رمى انسان انساناً بسهم ثم مات الرامي قبل وصول السهم الى المرمي ، ثم وصل السهم الى المرمي فآلمه وقتله ، لحدث القتل والألم بعد موت الرامي بنفس السبب الذي أحدثه الرامي وهو حي .

وقد فرق ابو الهذيل بين الأمور التي يقدر الله عباده عليها ، وبين الأمور التي لا يقدرهم على فعلها . فالحركات والسكون والأصوات والآلام وسائر ما نعرف كيفيته هي من الأمور التي يقدر الله عباده عليها . أما الاعراض التي لا نعرف كيفيتها كالألوان والطعوم والأراييح والحياة والموت والعجز والقدرة ،

(١) الاشعري ، مقالات الاسلاميين ص ٢٣٢ (٢) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ص ٣١٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فليس يجوز ان يوصف الباري بالقدرة على ان يقدر عباده عليها . والله لا يوصف بالقدرة على شيء تقدر عليه عباده ، لأنه محال ان يكون هناك مقدور واحد لقادرين . فأفعال الانسان لا تشبه أفعال الباري بوجه من الوجوه . والله يضطر عباده في الآخرة الى صدق يكونون به صادقين وكلام يكونون به متكلمين ، ولكنه لا يضطرهم الى كفر يكونون به كافرين وجور يكونون به جائرين . وهو قادر على الظلم ، الا انه لا يفعله لحكمته ورحمته . ومحال ان يفعل شيئاً من ذلك ، أن قدرته مقيدة بعدله ورحمته وحكمته .

٧ — النتيجة

هذه لمحة سريعة من آراء ابي الهذيل في التوحيد ، وحركات اهل الجنة والنار ، والأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والجواهر والاعراض ؛ والعلم ، والمسؤولية ، والاستطاعة ، والعدل ، ناظر فيها كثيرين من أقرانه كبشر بن المعتمر والأصم وهشام بن الحكم والنظام كما ناظر المجوس والثنوية واصحاب النجوم والدهرية .

ولا حاجة الى القول ان أبا الهذيل قد ابتعد بآرائه هذه عن اجماع المسلمين ، فتصدى للرد عليه كثيرون من أهل الحديث وعلماء الكلام ، الذين لم يروا رأيه ، ولا قالوا بمقالته فوضع (المردار) كتاباً في الرد عليه سماه « فضائح أبي الهذيل » ، والف الجبائي كتاباً في الرد على ابي الهذيل في المخلوق ، وصنف جعفر بن حرب كتاباً سماه « توبيخ أبي الهذيل » كفره فيه . وذكر ان قوله يجر الى الدهرية . وقد كان لهذه الردود أثر عظيم في شهرة أبي الهذيل حتى قال المأمون : أطل ابو الهذيل على الكلام كاطلال الغمام على الأنام . وقال الفضل بن العميد ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة . أما الفقه فعلى ابي حنيفة ، وأما الكلام فعلى ابي الهذيل ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ . وكان ابو علي الجبائي يقول ليس بيني وبين ابي الهذيل خلاف الا في أربعين مسألة . وما كان في الدنيا بعد الصحابة اعظم عنده من أبي الهذيل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويظهر أن ابا الهذيل كان في مناظراته أشبه برؤساء الأحزاب والخطباء والمحامين منه بالفلاسفة الهادئين ، الذين يسيرون على منهج علمي واضح دقيق . وطريقة هذا شأنها تدخل على أسلوب العلم شيئاً من الضعف والتردد والعدول عن سواء السبيل . وكل فلسفة تقوم على أساس الجدل والمناظرة ، تكون مسائلها مقيدة بآراء المخالفين . ومن نازل عدواً قوياً اضطر الى التقيد بشروط قتاله ، وتقلب أحواله ، واتباع حركاته وسكناته ، وقيامه وقعوده . وقد تؤثر فيه روح العدو وحيلته ، فتبدل خطته وغايته . ومعركة الأفكار لا تختلف من هذه الناحية عن معارك الرجال . بل كثيراً ما يكون تأثير العدو في تكوين الأفكار أقوى من تأثير الحليف . وفرق بين ان يبني الانسان بيته بنفسه وفقاً لمخطط معقول ، وبين ان ينشئه وفقاً لما تقتضيه الحاجة العملية المباشرة . وفرق بين ان يكون الفكر مستقلاً في وضع المسائل وتأليفها ، وبين ان تكون مسائله تابعة للعناصر المقتبسة من آراء المخالفين . ففي أعمال المدافعين أمور كثيرة لا بقاء لها . وينبغي ان تزول بزوال أسبابها ، وان تهجر ويستبدل بها غيرها ، وان يؤتى بما هو احسن منها وأصوب . وربما كان ابو الهذيل غير بريء من ذلك ، حتى لقد أدرك هو نفسه ان آراءه قد جرته الى الخروج على الاجماع . وان كثيرين من الملحدين قد تعلقوا عليه بها . فتاب من الكلام فيها قبل موته . ولعله لم يتب من الخوض فيها الا بعد ان أدرك خلافة المتوكل ، وكف بصره ، وخرف في آخر عمره ، وقصر عن مناضلة المناظرين . ومهما يكن من أمر فان ابا الهذيل قد مهد السبيل بجدله لظهور الفلسفة في الاسلام ، فخدم الاسلام ، عن طريق الجدل والمناظرة اكثر مما خدمه القواد عن طريق الفتح ، حتى لقد أسلم على يده ثلاثة آلاف رجل . وكانت فلسفته أقرب إلى روح الاسلام من آراء الفلاسفة المشائين ، الذين أخذوا آراءهم عن أفلاطون وأرسطو . وكان في دفاعه عن الاسلام يعمل على نشر الدعوة العربية ويؤيد سياسة الخلفاء العباسيين في التخلص من سيطرة الفرس . وكانت نيته في عمله صادقة ، والنية هي ميزان العمل . وانما الأعمال بالنيات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ — المصادر

آ. حياة أبي الهذيل

١ — الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ٣ ، ص ٣٦١ — ٣٦٧ — ٣٧٠

٢ — ابن خلكان ؛ وفيات الأعيان ، ج ١ ، ٤٨٠

٣ — ياقوت ، الارشاد ، ج ٣ ، ٧٤ ، ١

٤ — الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ، ص ٧٨ في الهامش عن النظام ـ ج ١ ، ص ١٠٤ في الهامش في ترجمة بشر بن المعتمر ـ ج ١ ، ص ٥٠ ا في ترجمة صالح بن عبد القدوس .

٥ — الجاحظ ، كتاب البخلاء ، ج ١ — ص ١١٨ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

٦ — العسقلاني ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٤١٣

٧ — المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ — ٣٠٢

٨ — ابن قتيبة ، عيون الأخبار : ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٨

٩ — ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، ص ٥٣

١٠ — كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل لاحمد بن يحيى المرتضى ، ص ٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٧٥ . طبعة دائرة للمعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣١٩ هـ .

١١ — محمد بن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ، جزء ٦ ، ص ١٢٠ مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٤٧ .

١٢ — ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، طبعة دار الكتب المصرية .

١٣ — ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، جزء ٢ ، ص ٩٠ ، مصر ١٩٤٢

١٤ — صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، كتاب نكت الهميان في نكت العميان ، ص ٢٧٧ — ٢٧٩ . مصر ، المطبعة الجمالية ١٩١١ .

١٥ — أمالي السيد المرتضى ، الجزء الاول ، ص ١٠٠ ، ١٢٤ .

١٦ — ابن النديم ، الفهرست ، ص ٥٥ ، ٢٥٥ ، الملحق ص ١ ، ٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٧ — الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ٥٤٧ .
١٨ — الغرر والدرر ، ١٢٤ .
١٩ — روضات الجنان ، ١٥٨
٢٠ — تاريخ العيني لسنة ٢٢٦
٢١ — المنتظم لابن الجوزي ، ٩٨١
٢٢ — طبقات المعتزلة لقاضي القضاة ، وهو ابو الحسن عبد الجبار بن احمد ابن عبد الجبار الهمذاني الاسترابادي .
٢٣ — منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال تأليف ميرزا محمد الاسترابادي مع تعليقات محمد باقر البهبهاني ، طبع بالحجر بطهران سنة ١٣٠٧
٢٤ — قاموس الأعلام ، لشمس الدين سامي ٤٦٠ .

ب — فلسفة أبي الهذيل

١ — الأشعري ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . عني بتصحيحه هـ . ريتر ، استانبول ، مطبعة الدولة ١٩٢٩
٢ — البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٤٨ ، ١٠٢ ، ٨٤ ، ٢٤٨ ، مطبعة المعارف ، مصر
٣ — دائرة المعارف الاسلامية ، « ابو الهذيل العلاف » .
٤ — الخياط ، كتاب الانتصار ، ص ١٧ ، ٦٧ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٧٢ ، ١٧٩
٥ — الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص ٨٨
٦ — فخر الدين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٤١
٧ — الشهرستاني ، الملل والنحل ١٨ ؛ ٣٤ .
٨ — صوان الحكمة ، لظهير الدين البيهقي ، ٩٦٦ .
٩ — دي بوئر ، تاريخ فلاسفة الاسلام .
١٠ — الايجي ، المواقف .
١١ — Carra de Vaux - Avicenne , p. 21 24
١٢ — Les penseurs de l'Islam ″

جميل صليبا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net